وهو عبارة عما وقع في متون الأحاديث من الألفاظ الغامضة البعيدة من الفهم لقلة استعمالها .

هذا فن مهم يقبح جهله بأهل الحديث خاصة ثم بأهل العلم عامة والخوض فيه ليس بالهين والخائض فيه حقيق بالتحري جدير بالتوقي .

روينا عن (الميموني) قال : سئل (أحمد بن حنبل) عن حرف من غريب الحديث فقال : سلوا أصحاب الغريب فإني أكره أن أتكلم في قول رسول ا - A - بالظن فأخطئ .

وبلغنا عن التاريخي (محمد بن عبد الملك) قال : حدثني (أبو قلابة عبد الملك بن محمد) قال : قلت (للأصمعي) يا (أبا سعيد) ما معنى قول رسول ا - A - ((الجار (160) أحق بسقبه)) . فقال : أنا لا أفسر حديث رسول ا - A - ولكن العرب تزعم أن السقب اللزيق .

ثم إن غير واحد من العلماء صنفوا في ذلك فأحسنوا . وروينا عن (الحاكم أبي عبد ا الحافظ) قال : أول من صنف الغريب في الإسلام (النضر بن شميل) . ومنهم من خالفه فقال : أول من صنف فيه (أبو عبيدة معمر بن المثنى) . وكتاباهما صغيران .

وصنف بعد ذلك (أبو عبيد القاسم بن سلام) كتابه المشهور فجمع وأجاد واستقصى فوقع من أهل العلم بموقع جليل وصار قدوة في هذا الشأن .

ثم تتبع (القتيبي) ما فات أبا عبيد فوضع فيه كتابه المشهور .

ثم تتبع (أبو سليمان الخطابي) ما فاتهما فوضع في ذلك كتابه المشهور .

فهذه الكتب الثلاثة أمهات الكتب المؤلفة في ذلك . ووراءها مجامع تشتمل من ذلك على زوائد وفوائد كثيرة ولا ينبغي أن يقلد منها إلا ما كان مصنفوها أئمة أجلة .

وأقوى ما يعتمد عليه في تفسير غريب الحديث : أن يظفر به مفسرا في بعض روايات الحديث . نحو ما روي في حديث (ابن صياد) أن النبي - A - قال له : ((قد خبأت لك خبيئا فما هو ؟)) . قال : الدخ .

فهذا خفي معناه أعضل وفسره قوم بما لا يصح . وفي معرفة علوم الحديث (للحاكم) أنه الدخ بمعنى الزخ الذي هو الجماع وهذا تخليط فاحش يغيظ العالم والمؤمن .

وإنما معنى الحديث أن النبي - A - قال له : قد أضمرت لك ضميرا فما هو ؟ فقال : الدخ بضم الدال يعني الدخان والدخ هو الدخان في لغة إذ في بعض (161) روايات الحديث ما نصه : ثم قال رسول ا - A - (إني قد خبأت لك خبيئا) وخبأ له : ((يوم تأتي السماء بدخان

مبين)) . فقال (ابن صياد) هو الدخ . فقال رسول ا - A - ((اخسأ فلن تعدو قدرك)) . وهذا ثابت صحيح خرجه (الترمذي) وغيره . فأدرك (ابن صياد) من ذلك هذه الكلمة فحسب على عادة الكهان في اختطاف بعض الشيء من الشياطين من غير وقوف على تمام البيان . ولهذا قال له : (اخسأ فلن تعدو قدرك) أي فلا مزيد لك على قدر إدراك الكهان وا أعلم